

عَلَمُ الْبَدِيعِ

البدیع ١ علم يعرف به وجود تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال
وهذه الوجوه ، ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمى بالمحسنات المعنوية ،
وما يرجع إلى تحسين اللفظ يسمى بالمحسنات اللفظية .

الْبَنَاءُ الْأَوَّلُ

في المحسنات المعنوية

المحسنات المعنوية كثيرة المشهور منها :

١ التورية ، وهي أن يذكر لفظ له معنيان : قريب وبعيد هو المقصود
لقريظة خفية ، كقوله :

أَرَى ذَنْبَ السَّرْحَانِ فِي الْأَفْقِ سَاطِعًا فَهَلْ مُمْكِنٌ أَنْ الْغَزَالَةَ تَطْلُعُ ٢

١ - هو عندهم فن تحسين الاشياء : ornements du style ، يرجع بعضه الى المعنى
ويعود الآخر الى اللفظ ٢ - ذنب السرحان هو ضوء يبدو في الافق آخر الليل ثم تعقبه ظلمة .
ويسمى أيضا بالفجر الكاذب ؛ والافق ناحية السماء التي تظهر كأنها متصلة بالارض ، والساطع المرتفع
المنفشر ؛ والمراد بالغزالات هنا معناه البعيد ، وهو الشمس بقريظة ذكر ذنب السرحان والافق .

- ٢ الطَّبَاقُ ١ : وهو الجمع بين معنيين متناقضين ٢ - نحو الله الأول والآخر ؛ وهو يُحيي ويميت ؛ ولكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت .
 نبيه - الطباق في الأول بين اسمين ، وفي الثاني بين فعلين ، وفي الثالث بين حرفين .
- ٣ المقابلة ، وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم بما يقابل كلًّا منهما على الترتيب ، كقوله :
 ما أحسن الدينَ والدنيا ، إذا اجتماعا ؛ وأقبح الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجلِ

فوائد

الأولى : للطباق ضرب آخر يدعى طباق السلب ٢ ، وهو أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي - نحو يستحي من الناس ، ولا يستحي من الله ؛
 الثانية : يلحق بالطباق إيهام التضاد ، وهو ما بنى على المضادة تأويلا في المعنى ، أو تحيلا في اللفظ - نحو يفتقر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ؛ من تولاه ، فانه بضله ويهديه الى عذاب السعير .
 الثالثة : متى ذكر في أثناء الكلام ألوان برادها التورية أو الكناية ، ووقع التقابل بين الألوان كان نوع من البديع يسمى التدييع من حقه أن يعد حينئذ من الطباق نحو - يوم تسود وجوه ، وتبيض وجوه .

٤ مراعاة النظير ، وهي أن يجمع بين أمر وما يناسبه بغير التضاد ، كقوله :

أنخيلٌ ، والليلُ ، والبيداءُ ، تعرفني ،
 والسيفُ ، والرمحُ ، والقرطاسُ ، والقلمُ

١ - الطباق : l'antithèse ، وهو الجمع بين ضدتين لفظا ومعنى في الجملة الواحدة إلا أنه أعم من المعروف عندنا ، فيتناول المقابلة أيضا ، ويناسب هذه وحدها ما يدعونه ، parallélisme .
 ٢ - يشترط أن يكون ذلك في كلام واحد ، أو ما في حكمه كالكلامين الذين بينهما اتصال تام
 ٣ - هو ما يدعوه الأفرنج : l'antimétathèse ، وهو إعادة الكلمة بعينها بشرط أن يكون بينها وبين الأولى تضاد ، وذلك لا يتأتى إلا بإدخال النفي وشبهه عليها

٥ الاستخدام ، وهو أن يذكر لفظ بمعنى ، ويُعاد إليه ضمير أو إشارة بمعنى آخر ، أو ضميران يراد بهما غير ما أُريد بأولهما ، فالأول ، كقوله :
إذا نزل السماء بأرض قوم . رعيناه . وإن كانوا غضاباً^١
والثاني - نحو نزلت العقيق^٢ . ونظمت من ذلك عقداً : والثالث ،
كقوله :

والعين كَرَّتْ بهم لما بها سمحوا ، واستخدموها مع الأعداء فلم تَنَمْ^٣
٦ أجمع^٤ ، وهو أن يجمع بين متعدد في حكم واحد ، كقوله :
إنَّ الشباب والفراغَ والجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ للمرءِ أيُّ مفسدة^٥ .
٧ التفريق^٦ ، وهو أن يفرق بين متعدد من نوع واحد ، كقوله :
مانوال الغمام يوم ربيع ، كنوال الأمير وقت سخاء
فنوال الأمير بدرة عينٍ ونوال الغمام قطرة ماء^٧

١ - ذكر السماء أولاً بمعنى المطر ، وأُعيد عليها الضمير في قوله : رعيناه ، بمعنى النبات
٢ - أراد بالعقيق موضع ببلاد العرب ، وبإشارته الخرز المعروف الذي تتخذ منه العقود ،
وتعمل منه الفصوص ٢ - أراد بالعين الباصرة ، وأعاد عليها الضمير في : بها ، بمعنى الذهب ، وفي
استخدموها ، بمعنى الجاسوس ٤ - الجمع ، l'accumulation ، ضرب من المحسنات فيه
يجمع بجملة واحدة تفصيلات تبسط المعنى الرئيسي ، والفرق ظاهر بين هذا التعريف وما براد به
عندنا ٥ - الشباب الفتاة والقوة ، والفراغ : ترك العمل ، والجدّة : الغنى ، وأي بمعنى أعظم
صفة لمفسدة مرفوعة ، والشاهد فيه أنه حكم على الشباب والفراغ والجدّة بحكم واحد ، وهو الفساد
٦ - التفريق : le paradiastole ، هو التمييز بين فكرتين متشابهتين لئلا يقع الخلط
أنيهما ٧ - النوال : العطاء ، والغمام السحاب ، والبدرة عشرة آلاف درهم ، والشاهد فيه هو
به فرق بين عطاء الغمام ، وعطاء الأمير .

٨ التّقسيم^١، وهو إمّا استيفاء أقسام الشّيء، كقوله :

إمّا هذه الحياة متاع^٢ والجاهل الجاهل^٣ من يصطفّيها

ما مضى فات والمؤمل غيب^٤ . ولك الساعة التي أنت فيها^٥

وإمّا ذكر متعدّد، وإرجاع ما لكلّ إليه على التعيين، وهو

التفسير - نحو : لا ينجح إلّا المتأدّب^٦ والمجتهد^٧ : هذا باجتهاده، وذلك

بحسن سيره^٨

وإمّا ذكر أحوال الشّيء، مضافاً إلى كلّ منها ما يليق به، كقوله :

أنت بدرٌ حسنًا، وشمسٌ علوًّا، وحُسامٌ عزّا، وبحرٌ نوالًا^٩

تنبيه

يقرب من التقسيم بضعة أنواع بدئية لا تختلف عنه كثيرًا، منها الطّي والنشر، كقوله :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

والابضاح، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، وكلها متفارقة .

٩ تأكيد المدح بما يشبه الذمّ^{١٠}، وهو إمّا أن يستثنى من صفة ذمّ

١ - التقسيم : l'énumération des parties . هو أن يلمّ بذكر أقسام الشّيء

وأهم ظروفه . ٢ - المراد بالمتاع هنا ما ينتفع به ارتفاعاً قليلاً والجاهل الثاني صفة للأول،

لأنه بمعنى الشديد الجهل أو الكماله . وقد استوفى أقسام الزمن في البيت الثاني حيث ذكر

الماضي والمستقبل معبراً عنه بالمؤمل . والحال معبراً عنه بالساعة التي أنت فيها ٣ - الإشارة الأولى

للمجتهد . بدليل القرب، والثانية للمتأدّب بدليل البعد . ومن هنا جاء التعيين

٤ - الشاهد فيه إضافة أي نسبة الحسن للبدر . والعلو للشمس، والعز للحسام، والنوال

للبحر، وكل لا تقي بما نسب إليه . - الطّي والنشر، la distribution، أي قسمة الكلام

أقساماً عديدة سهلاً لبسطه على نمكة ما ٦ - يشبه هذا الضرب من الكلام ما يدعى :

astéisme، وهو أن يستر المدح والتملق بستر الذم أو التوبيخ

منفية صفة مدح على تقدير دخولها فيها ، كقوله :

لا عيبَ فيهم سوى أنَّ النزيلَ بهم يسلم عن الإهل والأوطان والحشم
وإمّا أن يثبت لشيء صفة مدح ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها
صفة مدح أخرى ، كقوله :

ففي كملت أوصافه غير أنه جوادٌ فما يُبقي على المال باقيا

تنبيه

قد يلحق بهذا النوع ثلاثة أخرى اقترابة ينفن وهي : الهزل الذي يراد به الخلد ، كقوله :
إذا ما تيمى أنك مفاخرأ فقل عد عن ذا ، كيف أكلت للضب
والهجو في معرض المدح ، والتهمك ٢ - نحو قوله :
باله من عمل صالح برفعه الله الى أسفل

- ١٠ حسن التعليل ، وهو أن تدعى لوصف علة غير حقيقية ، كقوله :
مازلت مضرب من كيد ألم بها لكنّها رقصت من عدلكم طربا
- ١١ إئتلاف اللفظ مع المعنى . وهو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني ،
بأن يؤتى بالعبارة الشديدة لنحو الفخر والحماسة ، واللينة لنحو الشوق

١ - أى صفة المدح فيها أي في صفة الذم المنفية كما في البيت ، فإن الشاعر يقول : لا عيب
فيهم سوى سلمو النزيل أي نسيان الضيف أهله ، ووطنه ، وخدمته ، وخدمته ، أي أن كان
هذا عيبا ، فلا عيب فيهم غيره ، ومعلوم أنه ليس بعيب

٢ - الهجو في معرض المدح : le chleuasme ، والتهمك : l'ironie ، وهذا أنواع
مرجها إخراج الكلام على غير ما يشعر به المتكلم أو يريد ، بأساليب تختلف بين الرقة والشدّة ،
والهزل والجبد ، والمدح والهجاء ، واللفظ واللذع ، وهلم جرا ٣ - أي غير مطابقة للواقع بمعنى أنها
ليست هي العلة في نفس الأمر بل بالاعتبار والتخيل ، كما في البيت ، فانه ادعى للوصف الذي هو
الزلزال علة ، وهي أنها رقصت طربا من عدل الحاكم . ونلك العلة غير حقيقية ، بل بالاعتبار والتخيل .

والاستعطاف ونحوهما ، كقوله :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِّيَةً ، هَتَكَ حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دُمَا
إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذَرَى مُنْبَرٍ ، صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا
وقوله :

أَرْجُ النَّسِيمَ سَرَى مِنَ الزَّوْرَاءِ سَحَرًا فَأَحْيَا مَيِّتَ الْأَحْيَاءِ

١٢ أسلوب الحكيم ، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه ، أو السائل بغير ما يطلبه ، تنبيهاً على أنه هو الأولى بالقصد^١ ؛ فالأول يكون بحمل الكلام على خلاف مراد قائله ، كقول القبعثري^٢ للحجاج^٣ ، وقد توعدّه بقوله : « لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأُدْهِمِ^٤ : » « مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب^٥ . » فقال له : « ويلك ! إنما أردت الحديد^٦ . » فقال : « لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً^٧ . »

١ - أي غير المترقب والمتطلب هو الاحق بأن يقصده المخاطب والسائل ٢ - هو رجل من رؤساء العرب وفصحائهم ، كان من الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي ، وسبب نوعه الحجاج إياه أنه كان جالسا مع بعض أصحابه ببستان فيه حصرم ، فخرى ذكر الحجاج ، فقال القبعثري : « اللهم سود وجهه ، واقطع عنقه ، واسقني من دمه . » فبلغ ذلك الحجاج ، فاحضره وقال له : « أنت قلت كذا وكذا ؟ قال : « نعم ولكني أنكأ على الحصرم لا عليك . » فقال : « لَأَحْمِلَنَّكَ الْحَجَّ ، ثُمَّ قَالَ لَا تُعَوِّدْهُ : « احملوه ، ففعلوا ، فقال القبعثري : « سبحان الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين . » فقال : « اطرحوه على الأرض ، فلما صار عليها قال : « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى . » فسخر الحجاج ببلاغته وفعاغته ٢ - هو الحجاج بن يوسف عامل بني أمية على العراق ، كان مضرب المثل في القساوة والظلم ٤ - كنى بهذه العبارة عن نقيض القبعثري بالحديد ٥ - يريد بالأدهم الفرس الأسود ، وبالأشهب الذي غلب بياض شعره على سواده .

٦ - الحديد أي المعدن المعروف ٧ - يريد بالحديد الحاد أي الماضي السريع . والبليد ضده .

والثاني يكون بتزويد السؤال منزلة سؤال آخر مناسب لحالة السائل،
كقول أستاذ لتلاميذه ، وقد استخبروه عن الامتحان : « اجتهدوا » .

أُسْئَلَة

- ١ - ما هو علم البديع ؟ ٢ - ما الفرق بين المحسنات المعنوية واللفظية ؟ ٣ - أذكر أنواع المحسنات المعنوية ؟ ٤ - ما الفرق بين التورية والاستخدام ؟ ٥ - ما الفرق بين الطباق والمقابلة ؟ ٦ - ما هي مراعاة النظير ؟ ٧ - ما هو الجمع ؟ ٨ - ما هو التفريق ؟ ٩ - اذكر التقسيم بأنواعه الثلاثة ١٠ - ما هو تأكيد المدح بما يشبه الذم ؟ ١١ - ما هو حسن التعليل ؟ ١٢ - ما هو انتلاف اللفظ مع المعنى ؟ ١٣ - ما هو أسلوب الحكيم ؟

نَحْمَدُكَ

يَبَيِّنُ أنواع المحسنات البديعية فيما يأتي — :

- ١ تأمل إلى الرياض والنهر إذ جرى ودمعها بين الرياض غزيرُ
كأن نسيم الروض قد ضاع منها ، فأصبح ذا يجري ، وذا يدورُ
- ٢ والصبح قد أخذت أنامل كفه في كل جيب للظلام مزررُ
فكأنما في الغرب راكب أدهمُ يحتثُّ في الشرق راكب أشقرُ
- ٣ أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجونَ نجوم
أراعي النجم في سيري إليكم ويرعاه من البيدا جوادي
- ٥ والحلم والجود فيه والعفاف ، وما تحوي الكرام من الاخلاق والشم

١ - هذا جواب الأستاذ عن سؤالهم ، بعد تزييله منزلة سؤال آخر ، فكأنهم سألوه عن الاجتهاد الذي هو أنسب لحالهم من سؤالهم عن الامتحان . فقال لهم : « اجتهدوا » ،

- ٦ فجود كفيه لم تلمح سحائبه
٧ وأعلم علم اليوم والذي قبله
٨ فإن الحق مقطعه ثلاث
٩ فتي كملت أوصافه غير أنه
١٠ يا واهياً حسنت فينا إساءته
١١ لهم أسامٍ سوامٍ غير خافية
١٢ فلما عرفت الدار قلت لربها
١٣ وحياتكم ، وحياتكم قسماً وفي
لو أن روعي في يدي ووهبتها
عن العباد ، وجود السحب لم يتم
ولكني عن علم ما في غدٍ عم
بين أو شهود أو جلاء
جواد فما بقي على المال باقياً
نحـ حذارك إنساني من الفرق
من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم
ألا أنعم صباحاً أيها الربيع وأسلم
عمري بغير حياتكم لم أحلف
لبشري بقدومكم لم أنصف

وتمّ بعض أشكال دون ما تقدّم شهرةً منها :

- ١٣ الالتفات^١ ، وهو انصراف المتكلم من الاخبار إلى الغيبة أو الخطاب
وقيل : من كلٍّ من المتكلم ، والخطاب ، والغيبة إلى صاحبه ، على غير
ما يقتضيه سياق الكلام : افتناناً في الحديث ، وحملًا للسامع على فضل
إصغاء ، كقوله :

متى كان الحيامُ بذى طلوحٍ سقيت الغيث أيتها الحيامُ^٢
وقوله :

تطاوَلَ ليلك بالأشدِّ ونام الخليلُ ، ولم أرقدِ^٣

١ - الالتفات : l'enallage ، هو استعمال الماضي بدلاً من غيره أو الغائب عوضاً عن
المخاطب أو المفرد بدلاً من الجمع . ٢ - انتقل الشاعر من الغيبة في الشطر الأول إلى الخطاب في الشطر
الثاني . ٣ - القياس أن يقول : ولم ترقد ، لكنه انتقل من الخطاب إلى التكلم فقال : ، ولم أرقد ،

١٤ تجاهل العارف وهو أن يساق العلوم مساق المجهول ، لنكتة كالتعجب ، والمدح ، والذم ، والتوبيخ ، والإنكار - نحو أفسحرو هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ وأقوم آل حصن أم نساء ؟ وكقوله :

أيا شجرة الخابور مالك موركاً ! كأنك لم تجزع على ابن طريف ؟

١٥ إرسال المثل^٢ ، وهو أن يأتي الشاعر في بيته ، والنائر في فقرة من كلامه ، بمثل أو ما يجري مجرى المثل ، من حكمة أو تنبيه أو نحو ذلك ، مما يصح أن يتمثل به ، كقوله :

اعلّ النفس بالآمال أرقبها « ما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل ! »

ويقرب من هذا النوع الكلام الجامع ، ويكون في بيت كامل من الشعر ؛ ويحاكيهما التمثيل .

١٦ المبالغة^٣ ، وهي أن يدعى لشيء وصف يزيد على ما في الواقع .

وهي ثلاثة أقسام : التبليغ ، أو وصف شيء بالممكن في العقل والعادة ، كقوله :

ونسكركم جارنا ما دام فينا ونذبة الكرامة حيث مالا

١ - تجاهل العارف : la dubitation ou interrogation ، هو أن يخرج المتكلم بالاستفهام عن معناه ، أو يضع ما يعرفه موضع الشك لكي يتلافى الاعتراض ويفتده

٢ - إرسال المثل : l'application ، هو أن يستشهد الخطيب بكلمة معروفة أو حجة

مأثورة تعزى للكلام^٣ - المبالغة : l'hyperbole ، هي ضرب من التعبير يدور على السنة البشر ، فلا تختص بها لغة دون أخرى ، وقيل في تعريفها عند الأفرنج هي التعبير بكلام ، إذا أخذ يحصر معناه تجاوز حدود الحقيقة ، والمراد بهذا الضرب من الأساليب التأثير في نفس السامع .

والإغراق ، وهو وصف الشيء بالمكن في العقل دون العادة ، كقوله :
لا تراني مُصالحاً كَفَّ يَحْيَى ، إَنِّي ، إِن فَعَلْتُ ، ضَيَّعْتُ مَالِي
لو يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةَ يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِذَلِ النَّوَالِ
والغلو ، وهو الوصف بالمستحيل في العقل والعادة ، كقول زهير :

لو كان يُقَعَّدُ فوقَ الشَّمْسِ من كَرَمٍ قَوْمٌ بِأَبَائِهِمْ أوْ بِمَجْدِهِمْ قَعَدُوا
والمقبول من الغلو ما ضمَّ إليه ما يُقَرَّبُهُ إلى الصِّحَّةِ^٢ كفعل مقاربة ،
أو أداة فرض مثل كاد ، ولو ، أو جاء في معرض هزل ، كقوله :
لَيْتَ أَنْفٌ يَا ابنَ حَرْبٍ أَنْفَتَ مِنْهُ الْأَنْوْفُ
أَنْتَ فِي الْبَيْتِ تُصَلِّي وهو فِي السُّوقِ يَطُوفُ
١٧ التلميح ، وهو أن يشار في أثناء الكلام إلى قصة معلومة ، ونحوها ،
كقوله :

إِذَا جَاءَ مُوسَى وَأَتَى الْعَصَا فَقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ وَالسَّاحِرُ^١

ويدخل في باب التلميح العنوان ، وهو أن يأخذ المتكلم في غرض

١ - هو ابن خالد البرمكي ، تقلد أعمالاً للمنصور فلهدي ، ولما ولي الرشيد الخلافة استوزره
وفوض إليه أمور المملكة ، ثم تغير عليه فسجنه إلى أن مات سنة ٨٠٥ م . ١٩٠ هـ . وكان
من الفضل والنبل والكرم على جانب عظيم
٢ - فإن خرج عن حد المقول ، ولم يضم إليه ما يقربه إلى الصحة عند ساقطاً مردولاً ، ويدعى
حيقن عند الأفرنج ، enflure .

٢ - التلميح ، l'allusion ، هو عندهم تنبيه الخاطر بكلمة إلى حادثة أو شخص وما أشبه
دون تصريح ١ - في هذا البيت إشارة إلى ما جاء في قصة موسى في سورة الاعراف : فَأَلْقَى عَصَاهُ
فَأَذا هي ثعبان مبين . . . فإذا هي تلقف ما بأفكون . . .

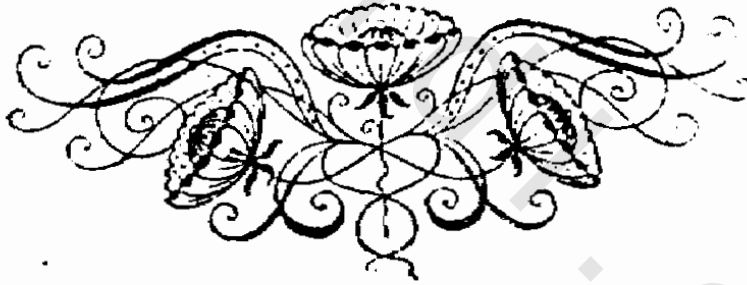
له من وصف أو فخر ونحوهما . ثم يأتي لقصد تكميله بالفاظ تكون إشارة
لأخبار متقدمة . وقصص سالفة . كقوله :

ومن فعل المعروف مع غير أهله يلاقي كما لاقى مجير أم عامر^١

١٨ الزهارة^٢ . وهي أن يأتي الشاعر ، في معرض الهجو وما شاكلة ،

بألفاظ محتشمة ، منزهة عما يחדش الآذان الطاهرة ، وينفر منه ذوو الاطباع
اللطيفة ، كقوله :

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً



١ — أم عامر : لقب الضبع وفي البيت إشارة الى ما حدث لاحقاً . وقد عطف على ضبع لجأت
الى بيته ، ومكثت عنده أياماً يطعمها ويسقيها اللبن . ويكرمها فاتهزت فرصة ، فبقرت بطنه ، وولفت دمه
٢ — الزهارة : Leuphémisme . تعبر به عن براد به عندهم التعبير بالتمليح دون التصريح
بما يحزن أو ينشأم به ، أو يستحيا من ذكره . أو يشمأز منه ، وذلك ما حمل الاقدمين على التعبير
عن بعض الاشياء بأضدادها نفاؤلاً .

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

المحسنات اللفظية كثيرة ، منها :

١ الجناس ، وها تشابه اللفظين في النطق^١ لا في المعنى ؛ ويكون تاماً وغير تام ؛ فالتام ما اتفق لفظاه في عدد الحروف وهيئاتها ونوعها وترتيبها - نحو أصلحت ساعة في ساعة . وغير التام ، هو ما اختلف لفظاه في عدد الحروف ، أو هيئاتها أو نوعها ، أو ترتيبها - نحو الهوى مطيئة الهوان ؛ وإذا زلّ العالم ، زلّ بزّله العالم ؛ والخيل معقود^٢ في نواصيها الخير ؛ والجاهل لا يعلم ما يعمل^٣ .

١ - أى في التلفظ بهما ، بأن تكون حروفهما متحدة ، أما كلاهما في ساعة وساعة ، وأما كلاهما في الخيل والخير ، لا في المعنى ، أى بأن يختلف معناه ؛ فيخرج نحو ضرب وعلم لانهما لم يتفقا إلا في عدد الحروف ، وأسد وضيعم لانهما لم يتفقا إلا في المعنى ، وقام زيد قام ، لانفاقهما في اللفظ والمعنى معا - واعلم أن الجناس التام يدعى في الفرنسية antanaclose ، وعرفوه بقولهم : ، هو إعادة الكلمة في الجملة الواحدة بغير معناها الاول ، كما دعى الجناس المطرف أو اللاحق paronomase ، نحو ليل دامر وطريق طامس . وما سوى ذلك من الجناس سيأتى ذكر بعضه ولا يكاد يوجد له أثر في غير العربية^٢ - الاول مثال للاختلاف في العدد بين الهوى والهوان - والهوى ميلان النفس الى الشهوات ، والمطية الركوبة ، والهوان الذل ؛ - والثاني للاختلاف في الهيئة بين العالم والعالم - والثالث للاختلاف في النوع بين الحرف الاخير من خيل وخير ؛ والنواصي جمع ناصية ، وهي مقدم الرأس . والرابع للاختلاف في الترتيب بين يعلم ويعمل .

٢ والسجع^١ . وهو توافق الفاصلتين ثراً في الحرف الأخير - نحو
لا تُبَدِّرْ بِالْجَوَابِ ، قبل استيفاء الخطاب

٣ الاقتباس ، وهو أن يُضَمَّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث
على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه منهما^٢ - نحو لا تتخذوا الدنيا الفانية سوقاً ،
إنَّ الباطل كان زهوقاً . وإنما الأعمال بالنيات ، فلا تفعلن شيئاً رياءً
للمخلوقات .

ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المقتبس للوزن أو غيره ، كقوله :
وليس للإنسان إلا ماسعي ، نَعَمْ ، وإنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى

فائدة

إن غير المقتبس تغييراً كثيراً ، خرج عن باب الاقتباس إلى باب العقد ، وهو أن يعتمد الناظم
إلى كلام منشور فينظمه متصرفاً فيه بما يلائم الوزن من تغيير وتقديم وتأخير ، وحذف ونحو ذلك
كقوله :

كنى حزناً بدفك تم أنى نفضت تراب قبرك عن بدبا
وكانت في حياتك لى عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا ،

فانه عقد في عجز البيت الثاني نول أحد الحكماء ، لمسامات الاسكندر : ، كان الملك أمس
أنطق منه اليوم ؛ وهو اليوم أوعظ منه أمس

٤ الحل ، وهو أن يعتمد الكاتب إلى ما نظمه غيره ، فيروي به بالثر ، بلفظه

١ - السجع : l'homœoptote ، هو استعمال كلمات متجاورة تتواطأ على حرف واحد

٢ - أى يؤتى بشئ من لفظ القرآن والحديث في ضمن الكلام بطريقة وكيفية ليس فيها دلالة
على أن ذلك الشئ منهما

أو ببعضه ، نحو قوله : « العيادة سَنَةٌ مأجورة ، ومكرمة مأثورة ، ومع هذا فنحن المرضى ، ونحن العَوَّاد ، وكلُّ وِداد لا يدوم ليس بوداد . » حل فيه قول القائل :

إذا مرضنا أتيناكم نعوذُكم ، وتذنبون فناتيكُم ونعتذرُ
هـ التضمين ، أو الإيداع أو الاستعانة ، هو أن يُضمَّن الناظم شعره شيئاً من شعر غيره ، بعد أن يوطىء له توطئة حسنة تلحمة بكلامه ، ويكون بيت أو بعض بيت ، كقوله :

إياك يعني من غدا متناشداً بيتاً رووهُ على مرور الأعصرِ :
« وإذا تباع كريمة أو تُشتري فسوّك بائعها ، وأنت المشتري »
وقول الآخر :

على أتى سأشُد عندَ يعني : « أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ! »
ولا بدّ من التنبيه على المضمَّن ، ما لم يكن من شعر مشهور لدى الأدباء .

٦ سرقات الكلام ، وهي أن يأخذ الناثر أو الشاعر معنى لغيره بدون تغيير ، وهو النسخ والانتحال ، كقول عبد الله بن الزبير الشاعر منتحلاً بيتي معن ، وهما :

إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك ، وجدتهُ
على طَرَفِ الهجران ، إن كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيمه
إذا لم يكن عن شفرة السيف مَزْحَكُ

أو بتغيير يسير . كأن تبدل الألفاظ بما يراد فيها أو بما يضادّها في المعنى ،
كما لو قيل في بيت حسان :

«بيض الوجوه كريمة أحسابهم شمّ الأنوف من الطراز الأول»
سود الوجوه لئمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر
فإن أخذ المعنى دون اللفظ . وكان الكلام الثاني دون الأول أو مساوياً
له ، دعي إغارة ، ومسخاً ، كما قال أبو الطيب في قول أبي تمام :

«هيهات لا يأتي الزمان بمثله إنَّ الزمان بمثله لبخيل ،»
أعدى الزمان سخاؤه ، فسخابه ، ولقد يكون به الزمان بنحيلة
أو يؤخذ المعنى وحده ، ويكون الثاني دون الأول أو مساوياً له ،
وهذا يسمى إلماً وسلخاً ، كقول أبي تمام :

«والصبر يُحمّد في المواطن كلها إلا عليك فانه لا يُحمّد»
وقد كان يدعى حامل الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجزع



خاتمة

في حسن الابتداء والتخلص والانتهاء

١ - حسن الابتداء هو أن يجعل أوّل الكلام عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، كقوله :

طلعت بدوراً في أعزّ المطالع فبشّرني قلبي بسعد طوالي
وإن كان فيه إشارة لطيفة إلى المقصود ازداد بها حسناً ، وسمي ببراعة الاستهلال ، كقوله في التهنة بالشفاء من مرض :

المجدّ عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك السقم

٢ - حسن التخلص هو الانتقال ممّا افتتح به الكلام إلى الغرض المقصود برابطة تجعل بعضه آخذاً برقاب بعض ، كقوله :

خليليّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ فكم منهم الدعوى ، ومني القصائدُ
فلا تعجبا، إن السيوف كثيرةٌ ؛ ولكنّ سيف الدولة اليومَ واحدٌ

١ - فتراه قد ابتدأ كلامه بمدح نفسه ودم غيره من الشعراء في البيت الأوّل ، ثم تخلص في البيت الثاني إلى مدح سيف الدولة برابطة لطيفة ، وهي قوله : « فلا تعجبا أن السيوف كثيرة ، جمعت الكلام آخذاً بعضه برقاب بعض ، كما أنّما أفرغ في قالب واحد ، ومسوق لمن واحد .

٣ حسن الانتهاء هو أن يجعل آخر الكلام عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى ، تام الفائدة ، كقوله :

وأنت جديرٌ إذا بلغتك بالندى ؛ وإني بما أملتُ منك جديرٌ
فإن تولني منك الجميل ، فأهلك ؛ وإلاّ فإنّي عاذرٌ وشكرٌ
وإذا اشتمل على ما يشعر بالانتهاء ، ازداد حسناً وسمي ببراعة المقطع ،
كقوله :

حسن ابتدائي به أرجو لتخلص من نار الجحيم ، وهذا حسن مختتم

أُسُله

١ - اذكر أنواع المحسنات اللفظية ٢ - ما هو الجناس ؟ ٣ - ما الفرق بين الجناس التام وغير التام ؟ ٤ - ما هو السجع ؟ ٥ - ما هو الاقتباس ؟ ٦ - ما هو حسن الابتداء ؟ ٧ - ما هو حسن الانتهاء ؟ ٨ - ما الفرق بين براءة الاستهلال والمقطع
بين أنواع المحسنات اللفظية فيما يأتي — :

- ١ إن جئت سلعاً فسل عن حيرة العلم - وقل سلامٌ على عروبٍ بذي سلمٍ
- ٢ يُريك يسارها أوفى يسار - وباليمى تنالُ ندى ويمناً
- ٣ عضناً الدهر بناه - ليت ما حلّ بناه
- كلُّ من مال إليه - خاملٌ ليس بناه
- ٤ فنحنُ في جدلٍ ، والروم في وجلٍ - والبرُّ في شغلٍ ، والبحر في خجلٍ
- ٥ قالوا الحميا شرابٌ - للأنس والبسطِ جاءت
- فقلتُ ردّاً عليهم : « بئس الشراب وساءت »
- ٦ نثرت عقودَ سائها الأنداء - بيدِ النسيمِ فلثرى إثره

- ٧ السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجَدِّ والمعبِ
٨ حكمُ النيةِ في البريةِ جارٍ ما هذه الدنيا بدارٍ قرارٍ
٩ قد شَرَّفَ اللهُ أرضاً أنتَ ساكنها وشَرَّفَ الناسَ إذ سواكَ إنساناً

تفسيرات

أولاً : إعلم أن أنواع البديع تبلغ نحو مائة وخمسين نوعاً ، وقد مر الكلام على كثير منها في نضاعيف الكتاب ، في غير بابها : فإن أنواع الاطناب مثلاً ، والايجاز والتشبيه ، والاستعارة ، والكتابة وضروبها تعد من المحسنات البديعية - ثانياً : أن كثيراً من الاشكال البديعية متشابهة لا يكاد يلاحظ الفرق بينها ، وقد أشير الى البعض في مواضعه ، وأهمل البعض الآخر لدور وقوعه في الكلام ؛ - ثالثاً : أن بعض المحسنات لا يستعمل إلا في الشعر ، والبعض الآخر نادر أو هو صناعة لفظية لا كبير أمر وراءها ، ولا تورت المعنى بهجة ورونقا ، فلذلك أهمل ذكرها تماماً .
إلا أنه تنمياً للفائدة نذكر بعضها هنا إرضاء لطالبي التوسع ، فمن هذه الانواع :

- ١ تشابه الأطراف^١ ، وهو ضرب من التكرار يقوم بأن يذكر الناظم لفظة القافية في أول بيت يليها ، كقوله :
إذا نزلَ الحجاجُ أرضاً مريضةً تَدَبَّعَ أَقْدَى دَائِهَا فشفأها
شفأها من الداءِ العضال الذي بها هُمَامٌ إذا هزَّ القناة سقاها
٢ التشریع ، أو ذو القافيتين^٢ ، هو أن يبني الشاعر بيته على قافيتين ، بحيث إذا أسقط بعضه كان الباقي شعراً مفيداً ، كقوله :
لا يعرف الشوق إلا من يكابدُهُ ولا الصباية إلا من يعانيها

١ - تشابه الأطراف : . la palinlogie, l'anadiplose . هو ضرب من التعبير يقوم باعادة آخر كلمة من جملة أو بيت شعر في أول ما يلي ، أو يبدأ الشعر بآخر كلمة من البيت السابق ، أو بإحدى أخواتها ٢ - التشریع : . la rime brisée ou renforcée . لا يختلف هذا الضرب عندهم عما هو معروف به عندنا ، إلا أنه نادر الوقوع ونافه لا يلتفت اليه

فلو أريد الوقوف على الإبعاد الشوق والصبابة لاستقام المعنى والوزن.

نحو :

لا يعرف الشوق إلا... ولا الصبابة إلا...

وفي البيت علاوة على التشريع الاكتفاء^١ ، وهو أن يحذف الأديب

شيئاً من كلامه ، يستغني عن ذكره بدلالة العقل

٣ العكس^٢ ، وهو أن يأتي المتكلم بكلام ثم يعكسه فيقدم ما آخر ،

ويؤخر ما قدّم - نحو كلام الملوك ملوك الكلام : وعادات السادات

سادات العادات : وكقوله :

رقّ الزجاج وراقتِ الحمرة ، فتشابهها ، فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح^٣ وكأنما قدح ولا خمر

٤ الترديد^٤ ، هو أن يذكر الناظم أو الأديب في كلامه لفظة فيعيدها

بعينها مع متعلق آخر تفيد به معنى زائداً ، وهذا النوع يشبه التكرار

والتعطف - نحو :

أبدى البديع له الوصف البديع وفي نظم البديع حالات تردده بفمي

١ - الاكتفاء : la rélicence, l'aposiopèse ، ويقوم عندهم بانقطاع المتكلم

عن الكلام قبل استيفاء التعبير عن أفكاره اعتماداً على فهم المحذوف بالقرائن ٢ - العكس :

، l'antimétabole, la régression, la reversion. كلها أسماء تدل على

مسمى واحد ، لا يختلف شيئاً عما نسميه العكس ٣ - الترديد : la polyptote ، وهو

أن يكرر الكاتب في عبارته كلمة مع تغيير أحوال إعرابها

٥ التكرار^١ . أو التكرير وقد مر ذكره . هو أن يذكر الناطق أو الكاتب لفظة ثم يعيدها لتقرير المعنى في ذهن السامع ، سواء كانت اللفظة موصولة بأختها أو مفصولة ، كقوله :

حتى متى ، يا صاحبي ، لا ترعوي حتى متى ، حتى متى ، وإلى متى ؟
٦ ما لا يستحيل بالانعكاس^٢ ، وهو أن يأتي المتكلم بكلام ، لو عكسه ، لكان عكسه كطرده ؛ وهذا النوع لا يعدُّ من المحسن إلا إذا برىء من التكلف والعقادة ، وقد يكون في النثر والنظم - نحو أرانا الإله هلالاً أنارا ؛ أو كقوله :

مودته تدوم لكل هول وهل كل مودته تدوم ؟
٧ الترتيب^٣ ، وهو أن يقصد المتكلم ذكر أفعال أو أوصاف شتى لأوصوف واحد ، فيأتي بها مرتبةً ترتيباً طبعياً ، أو بحسب وقوعها - نحو :
ألموا فحيوا ثم قاموا فودعوا فلما تولوا كادت النفس ترهق
٨ التعديد^٤ ، أو سياقة الأعداد ، وهو أن يأتي الأديب بكلمات منفردة

١- التكرار : l'anaphore ، وهو عندهم أن تبدأ عدة أبيات متتابعة بلفظة واحدة .
٢- ما لا يستحيل بالانعكاس : les vers anacycliques, palindromes, cancrins ou rétrogrades . هو من الشعر عندهم ما نستقيم قراءته طرداً وعكساً . كأن يبدأ بأخر حرف من بيت الشعر إلى أوله أو بأخر كلمة منه إلى الأولى دون تغيير في المعنى ، أو مع بعض التغيير .
٣- الترتيب : l'antichimax, la gradation ، وهو عندهم نوعان صاعد وهو ما يذهب به من الأدنى إلى الأعلى ونازل وهو ما يذهب به من الأعلى إلى الأدنى ، ومزدوج وهو الجامع بين الاثنين .
٤- التعديد : la conjonction ، هو إعادة العاطف ، فيحدث له تأثير في النفس فيتوهم أن الأشياء كثرت بسبب تلك الإعادة .

يوقعها على سياق واحد يضمها العاطف : تحلّى عادة بمطابقة أو جناس ،
كقوله :

أخيلٌ والليلُ والبيداءُ تعرفني ،
والسيفُ والرمحُ ، والقرطاسُ والقلمُ

٩ التوزيع^١ ، هو أن يلتزم الأديب في كلامه حرفاً مخصوصاً في جميع
الفاظه أو أكثرها ، من غير تكلف ، نحو قوله :

سيفٌ يسرك سلّه وسؤاله لمساءة تؤسى وسلب نفوس

١٠ الالتزام^٢ ، هو أن يأتي الناظم قبل حرف الروي ، بما لا يلزم في
التقنية من حرف مخصوص أو أكثر . كقوله :

كلٌ واشرب الناس على خبرة فيهم يمرثون ولا يعذبون
ولا تصدقهم ، إذا حدثوا فأنهم من عهدهم يكذبون

١١ الحذف^٣ ، هو أن يلتزم الناظم في بيت أو أكثر من شعره
حذف حرف من حروف الهجاء ، أو نوع منها ، دون تكلف ولا تعقيد -
نحو قوله ، وقد حذف منه الحروف المعجمة :

اعدد لحسادك حدّ السلاح وأورد الأمل وردّ السّاح



١ - التوزيع : l'Altitération ، هو تكرار الحروف أو الكلمات عندها في الجملة الواحدة

٢ - الالتزام : les rimes très riches, doubles ou superflues .

٣ - الحذف : le lipogramme ، ولا يختلف هذا النوع عما هو معروف عندنا ،

إلا أنه مختصر لا يلتفت إليه ، لعمري مزاولة ، وقلة إفادته اللغوية .